أثر الاستعمار في ازدواجية الهوية في الرواية العربية: "شوق الدرويش" لحمور زيادة أنموذجاً

The influence of Colonialism in the Duality of Identity in Arabic Novel: A Case Study of Ḥammūr Ziyādah's "Syauq al-Darwīsh"

Pengaruh Penjajahan dalam Pembentukan Dwi Identiti di dalam Novel Arab: Satu Kajian Kes Novel "Syauq al-Darwīsh" oleh Ḥammūr Ziyādah'

سناء سميح العزة*

ملخص البحث:

يهتم هذا البحث برصد التغيرات المتعددة في الهوية القومية، نتيجة التحولات المختلفة التي واجهها الوطن العربي في ظل الاستعمار الغربي، ويركز البحث على محاولة المستعمِر خلخلة الهُوية وطمسها؛ لضمان استمرارية تبعيته السياسة والاقتصادية والثقافية، وتناول البحث نمطاً روائياً يمثل تلك المرحلة بأبعادها المختلفة، لاستخلاص الدلالات التي يحملها النص عبر وسائل تمكنه من الكشف عن مكنونات الثقافة الاستعمارية، والتي ظهرت من خلال البعثات التبشيرية التي فعلت ما عجز الاستعمار عن فعله بالقوة والقمع، وهو تحويل المستعمَر إلى الدين المسيحي بطريقة الترغيب. وجاءت الوسائل المختلفة التي حاول المستعمِر من خلالها بسط نفوذه وهيمنته؛ لتشتيت الهوية وتشظيها من خلال القهر والاستبداد، والظلم والعنف، وبث الشبهات حول الدين الإسلامي وكذلك الشعور بالانقسام والاغتراب الذي أوجده التمييز العنصري في الشعوب المستعمَرة غير البيضاء، ومغريات العولمة؛ لتشويق المستعمَر الأخذ بمظاهر الحضارة الغربية. وخلص البحث إلى أن ازدواجية الهوية جاء عن رغبة المستعَمر في الحفاظ على مصالحه في البلاد، أو الشعور بالدونية والرغبة في التماهي مع الآخر الأقوى أو الانبهار بثقافة الغرب وحضارته.

الكلمات المفتاحية: البعثات التبشيرية –القهر – التمييز العنصري– العنف —العولمة.

Abstract:

* طالبة دكتوراه، كلية الآداب، الجامعة الأردنية، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية.

The study attempts to trace the various changes in national identity as the result of the developments that ensued from western colonization by focusing on the efforts of the colonialist to disrupt its identity and obliterate it to maintain its cultural, political and economic subjugation over its subjects. The study attempts to tackle this dimension through indicating its manifestation in the genre of novel in order to arrive at the inferences carried by the text. This is done through methods that would enable identification of the elements of the colonial culture. This was manifest in the missionaries which managed to achieve what the military did not by force by attracting the subjects to Christianity by encouraging them to do so. There were various means through which the colonialist dispose its power and might to obliterate the identity of its subjects through force, subjugation, discrimination and violence. This is in addition to instilling confusion in the understanding of Islam and through the feeling of isolation and detachment that accompanied racism in the non-white subjects apart from the temptations of globalization in order to excite the minds to accept the western civilizations. The study concludes that duality in identity is the result of the interest of the colonized people's interest to preserve their interests in their countries or it is the feeling of nihilism along with the empathy with the stronger 'other' or a fascination with the Western culture and its civilization.

Keywords: Missionaries- subjugation- racism- violence- globalization.

Abstrak:
Kajian ini berusaha menjejak pelbagai perubahan identiti kebangsaan sebagai kesan kepada perkembangan yang disebabkan oleh penjajahan dengan tumpuan kepada usaha-usaha pihak penjajah untuk mengubah dan menundukkan identiti kelompok dijajah dengan tujuan mengekalkan dominan budaya, politik dan ekonominya. Kajian ini memperincikan dimensi ini dengan menunjukkan ciri-ciri ini yang tersurat dan tersirat dalam genre novel. Ini dilaksanakan melalui metod yang dapat mengenalpasti unsur-unsur budaya penjajah. Ini dapat diperhatikan daripada gerakan Kristian yang telah dapat mencapai tujuan yang tidak dapat dicapai oleh pihak tentera dengan menarik masyarakat yang dijajah untuk menukar agama. Terdapat beberapa cara yang yang digunakan oleh pihak penjajah untuk mempengaruhi identiti masyarakat dijajah dengan kekerasan, penundukan, diskriminasi dan kekejaman. Ini disamping strategi seperti percubaan mengelirukan dalam memahami Islam dan dengan menyuntik perasaan keterasingan yang ditinggalkan amalam perkauman dalam kalangan bangsa bukan kulit Putih yang dijajah. Keterujaan yang dicetuskan globalisasi turut menjadi alat untuk menarik minda pihak yang dijajah untuk menerima ketamadunan Barat. Kajian ini merumuskan yang isu dualiti identiti adalah kesan daripada keinginan pihak dijajah untuk memelihara maslahat mereka di negara-negara mereka atau ia adalah disebabkan oleh perasaan ketidakupayaan disamping perasaan ingin memahami pihak penjajah yang lebih tinggi kedudukannya ataupun kerana keterujaan disebabkan oleh budaya barat dan ketamadunnya.

Kata kunci: Gerakan Kristian- penundukan- perkauman- kekerasan- globalisasi.

مقدمة:

حاول الاستعمار زرع بذور الفتنة في البلاد الإسلامية، وعبرت الرواية العربية عن الأضرار النفسية التي خلّفها الاستعمار في البلاد المستعمَرة، ورصدت الرواية تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية التي أدت إلى ازدواجية الهويّة.

والازدواجية هي (وجود حالتين اثنتين من شيء ما، وتعني أيضاً أن يدرك شيء واحد على وجهين)،[١] ومن هذا المنطلق تفسر الازدواجية وفق اقتران الإنسان بالآخر.

فكان دور الرواية في تلك المرحلة الحرجة التعبير عن المشاعر المختلطة التي تناولت مفهوم ازدواجية الهويّة باستخدام الأدوات الفنية الحديثة التي مكّنت الروائي رصد أسباب ازدواجية الهويّة بقالب فني مبتكر يتسع للتجربة الإنسانية الرازحة تحت نيّر الاستعمار.

وبرزت الازدواجية مرتبطة بمفهوم الهويّة الذي يعني (مجموعة من الصفات أو السمات الثقافية التي تمثل الحد الأدنى المشترك بين جميع الذين ينتمون إليها، والتي تجعلهم يُعرفون ويتميزون بصفاتهم تلك عمن سواهم من أفراد الأمم الأخرى)،[٢] فالصراع بين المستعمِر والمستعمَر ومحاولة كل منهما إثبات وجوده أدى إلى ازدواجية الهويّة.

وتمكنت الرواية من تصوير تلك المظاهر، (فالرواية نوع مزيح تقع أصوله في حزمة من الأشكال الأدبية المختلفة)،[٣] فهي تحمل مضموناً أيديولوجياً في تتبع الأحداث التي تسند إلى شخصيات في سردها؛ بحكم امتدادها الزماني والمكاني الذي جعلها مرنة لا تحكمها قاعدة ثابتة، فاستوعبت التغيرات الجذرية التي طرأت على المجتمع الإسلامي، فعبّرت عن الواقع بكل ارهاصاته، فتصدرت الرواية السياسية الساحة الأدبية تبعاً للأحداث المهمة في مرحلة الاستعمار وما بعدها، فعبرت عن الآثار التي خلّفها في جسد الأمة الإسلامية (فالرواية السياسية تتميّز بقدرة على ربط المتعة بالوعي؛ ما يساهم في إثراء المضمون، وتحمل وجهة نظر الروائي حيال جماعته القومية عبر إظهار الموقف السياسي لشخصياتها، والذي بدوره يعكس الخط البياني للوضع الاقتصادي لتلك الشخصيات انطلاقاً من الارتباط القوي بين الوضع الاقتصادي والرؤية السياسية).[٤]

لقد استطاعت الرواية الحديثة تسجيل التغيرات في المجتمع الشرقي في مرحلة الاستعمار وما بعدها، فالانفتاح على الثقافات الأخرى أدى إلى تغيير واختلاف في المفاهيم والقيم، وصراع بين الإنسان المستعمَر والآخر المستعمِر أدى إلى خلخلة الهويّة وازدواجيتها.

وحملت الرواية وجهات النظر في الخطاب الاستعماري، وعرضت التناقضات التي نتجت عنه، كما سجلت الصراعات التي تعتمل في نفوس مثقفيها (وكأنها كتابة تاريخية تحمل شهادات عينية عن الأوضاع المعيشة خلال الاستعمار)،[٥] فقد عمل الاستعمار الغربي على طمس الهويّة الإسلامية، وإجبار

الدول العربية البقاء ضمن حالة التبعية له حتى في مرحلة الاستقلال، وتقسيم البلاد الإسلامية إلى طوائف وجماعات عرقية متناحرة، لتشتيت هويتها والسيطرة عليها.

فالهويّة خط الدفاع الأول عن الذات العربية في وجه الغزو الاستعماري، ومما لا يختلف فيه أن الاستعمار حاول انتهاك الهويّة العربية، وخاصةً فيما يتعلق بالدين واللغة، وقد شهدت مرحلة ما بعد الاستعمار خلافاً عميقاً حول الهويّة الإسلامية بين متمسك بها، وراغب في تجديدها أو متنكر لها، ولعل (أخطر ما تتعرض له هويتنا كذلك ميوعتها، وفقدانها لذاتها الواعية، ولقدرتها العقلانية الإبداعية، وضياعها في تقليد أعمى بليد لخبرات سياسية واجتماعية واقتصادية، لا تصلح لملابساتنا وأوضاعنا واحتياجاتنا الخاصة).[٦]

وتتعرض الهويّة في ظل الاستعمار إلى خلخلة في جذورها، وقد حاول المستعمِر فرض أسلوبه الذي يمثل الحداثة بالنسبة للمستعمَر؛ ما أحدث تصادماً بين طبيعتين مختلفتين، الأمر الذي فرض بقوة سؤال الهويّة في مواجهة الآخر.

ولعل الأيديولوجية الوطنية ذات المضامين العروبية والإسلامية التي واجهت الاستعمار، استلهمت مخزون الهويّة القومي في الكفاح الوطني، وتحولت هُويتها ما بعد الاستعمار، لتحمل مضموناً جديداً يمثل التبعية السياسية والاقتصادية والثقافية الذي تشكّلت منه الازدواجية.

ومن الأسئلة التي تواجه الإنسان في إدراك مفهوم ازدواجية الهويّة "لماذا تشكلت؟ ولماذا وجدت الرغبة في تغيير الهويّة أو ازدواجيتها؟ هل الظلم وكبت الحريات أدّيا إلى ذلك؟ أم أنه التأثر والانبهار بالآخر؟ أم أنه الشعور بالدونية الذي خلّفه الاستعمار الغربي؟

لقد جسدت الرواية العربية نتائج الحضارة الغربية بالتحولات الكبرى في المجتمعات الشرقية، وطرحت النصوص الروائية مسألة تحول الهويّة وازدواجيتها الذي نتج عنه وجود هُويتين متصارعتين.

وبرزت النماذج الاستعمارية المبنية على الخطاب الاستعلائي وعلى الثنائيات الفكرية في **شوق الدرويش**، ٢٠١٥م لحمّور زيادة، والذي ولد في مدينة أم درمان السودانية، وبدأ كتابته الأدبية بصحيفة المستقلة، والجريدة، وأجراس الحرية واليوم التالي، ثم انتقل إلى الإقامة في مدينة القاهرة، وعمل في مجلة روز اليوسف، وجريدة الصباح، وله كتابات متنوعة في القصة والرواية منها: مجموعة قصصية **سيرة أم درمانية**، و**النوم عند قدمي الجبل**، ورواية **الكونج**.

وتقع رواية حمور زيادة **شوق الدرويش** في (٤٦٠ صفحة) من القطع المتوسط، ويعود زمنها الروائي إلى عام (١٨٩٨م) مع دخول الجيش المصري السودان، وانكسار دولة المهدي، ويعود زمنها الكتابي إلى عام (٢٠١٤م)؛ ما يدل على التباين الكبير بين الزمنين الروائي والكتابي، فاعتمد الروائي على المراجع التاريخية لتسجيل مراحل طويلة ومهمة في فترة الاستعمار وما بعدها.

إن الاضطرابات السياسية التي خلفها التنافس الاستعماري على السودان أدى إلى ضعف البلاد من جميع النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

ومثلت السودان مجموعة الدول الإسلامية التي تعرضت للظلم والاضطهاد وكبت الحريات على يد المستعمِر الغربي، وذلك في (سيطرة الإمبراطورية العثمانية على أجزاء من الوطن العربي التي بدأت تظهر بمظهر استعماري، وبدأ هذا المظهر في صورة اضطهاد العنصر العربي).[٧]

تخلصت السودان من عهد العثمانيين بمساعدة مصر والولايات المتحدة، لتقع تحت استعمار آخر، كانت مهمته خلخلة أركان الهويّة، حيث برز مفهوم ازدواجية الهويّة في الرواية من خلال دور البعثات التبشيرية في التأثير على الناس وإبعاد الناس عن دينهم، وتحويلهم إلى الدين المسيحي، وهي طريقة اتبعها الغرب في تشتيت الهويّة، فالمعونات التي قدمتها تلك البعثات إلى المرضى والمحتاجين كانت وسيلة لكسبهم.

وسعت سياسة القهر والاستبداد إلى هدم الذات الإسلامية من الداخل، بوسائل خفية، فأصبح الآخر مخرجاً لهم من التيه والانفصام.

ومحاولة تشكيك الناس في دينهم، سياسة انتهجها الاستعمار في بث شبهات حول الدين، وذلك من خلال استغلال رجال السياسة للدين، وتعاونهم مع بعض رجاله لاستصدار فتاوي دينية بعيدة عن الإسلام، ليسهل مهمة الاستعمار الغربي في السيطرة على الناس.

وارتبط التمييز العنصري في النظرة الدونية، وذلك بالتركيز على اللون الأسود الذي يمثل الشر والجهل والتخلف في مقابل اللون الأبيض الذي يمثل الخير والحضارة والتفوق.

إن سياسة العنف والظلم أحدثت شرخاً في الذات الإسلامية، وولدت فيها القسوة حتى على أبناء جلدتها؛ ما جعلها تبدو مضطربة في سلوكها وأفعالها.

وبرزت العولمة كظاهرة حضارية منقذة المجتمع الإسلامي من دائرة الجهل، فكان الإقبال على إتقان اللغة الإنجليزية للانفتاح على الثقافة الغربية.

ولقد عبرت الرواية عن ازدواجية الهويّة من خلال الشخصيات الروائية، وظهر ذلك في صراعهم في مواجهة أزمة الهويّة، فالرواية الناجحة (تملك قدرة خاصة على جعل شخصياتها مقبولة، وكأنهم أشخاص واقعيون يخوضون تجربة معاشة، أو يمكن أن تعاش، وذلك لدرجة أننا نشعر إزاءهم بالتصديق).[٨]

فتحولت الشخصية الرئيسة في الرواية السياسية الحديثة من الدور الأسطوري الذي لا يهزم إلى شخصية مأزومة تعاني صراعاً في مواجهة الواقع، ليعود ممزقاً أو مهزوماً.

وجاءت **شوق الدرويش** لتعرض صراع الشخصيات في مرحلة الاستعمار وما بعدها، وتكشف عن وسائل المستعمِر في تشكيل ازدواجية الهويّة.

أولاً: أثر الاستعمار في ازدواجية الهويّة في رواية شوق الدرويش

١. البعثات التبشيرية

وضحت الرواية صراع الهويّة الذي برز نتيجة الآثار الاجتماعية والثقافية العنيفة التي خلفها الاستعمار، فظهرت مشكلة الهويّة في شكل الصراع بين نظرتين مختلفتين، نظرة عروبية إسلامية، ونظرة أخرى تبحث عن هُوية جديدة خارج المرجعية العربية الإسلامية، فيسترجع (بخيت) الشخصية المحورية في الرواية حواره مع (ثيودورا) التي كانت من ضمن أعضاء البعثة التبشيرية، يقول:

"إن دخلت دينك وتركت دين المهدية يرضيك هذا. تضحك، أنت هازل!!

كنت أريد أن أرى ضحكتك. سأُبدل ديني لأجل رضاك في غضبة قادمة"[٩]

وفي إطار هذه الرؤية التي جعلت (بخيت) مستعداً لقبول ديانة أخرى في لحظة غضب جديدة، دلالة واضحة على الدور الذي لعبه المستعمِر في العقول الإسلامية، وخاصة البعثات التبشيرية التي حملت في ظاهرها حب المساعدة والخير، وفي باطنها تحويل الناس عن دينهم، ليسهل انقيادهم.

وتعرض الرواية رؤية الإسلام والدين المسيحي وفق نسق الفكر الغربي، تقول (ثيودورا):

"رشحوني لمرافقة بعثة تبشير لأخدم الجالية اليونانية في الخرطوم، كانت بعثة كاثوليكية أرثودكسية.

رأت في عينيه عدم الفهم، قالت محاولة الشرح:

الكاثوليك والأرثودكس مثل المذاهب عندكم، تعرف مذهب أبو حنيفة والمالكي والشافعي وأبو حنبل[١٠].

أرادت الرواية طرح مفهوم البعثة التبشيرية، فهي لخدمة الجالية اليونانية في السودان؛ لكنها جاءت في حقيقتها لتحويل الناس عن هُويتهم، والمستعمِرون يدركون أهمية الإسلام، وما يمثله من خطر على استمرار وجودهم، لكن بصورة مقبولة ليتحقق القول (إذا لم نحسن كيف نصيّر تلك الشعوب فرنسية (المغرب، الجزائر، تونس)، فإنها ستخرجنا حتماً من بلادها، فالوسيلة الوحيدة التي نصيّرهم فرنسيين هي أن يصبحوا مسيحيين).[١١]

فخطر الهويّة من لغة ودين يهدد مصالح الاستعمار، فلذلك عمد المستعمِر إلى تشتيتها لضمان وجودهم، ويستنتج القارئ مقارنة (ثيودورا) الكاثوليك والأرثودكس بالمذاهب الإسلامية، توضيحاً لـ: (بخيت) الذي يجهل ذلك، ويتضح إن الفكر الغربي له إطلاع واسع وعميق على المذاهب الإسلامية، وتلك سياسة استعمارية دراسة طبيعة الحياة الإسلامية، لتحقيق أطماعها في الدول المستعمَرة، ومقارنة

الدين المسيحي بالدين الإسلامي على أنهما شيء واحد، ليسهل تقبل الناس البعثات التبشيرية التي ظهرت بوصفها حاملة للحضارة والإنسانية؛ ما جعل أصحاب السلطة يرحبون بها تمهيداً لغزو استعماري جديد، يقول الراوي:

(استضافهم حاكم المدينة وأكرمهم، وأنزلهم باستراحة الضيوف قرب الديوان، واحتفى بهم علية القوم في المدينة من الأتراك والأوروبيين. واعتبروهم إضافة إلى رسالة الحضارة التي تنحت في صمّ بربرية البلاد).[١٢]

ركزت الرواية على الترحيب والحفاوة التي استقبل بها الحاكم وحاشيته أعضاء البعثة التبشيرية التي حملت في ظاهرها التعليم والثقافة لأهل المنطقة، فهم يقدمون رسالة الحضارة في يد، والدين المسيحي في يد أخرى، وهذه فكرة غربية جاءت مع الاستعمار؛ لمحو هوية الشعب الأصلية واستبدالها بهُوية جديدة منقذة في ظاهرها الفقراء والمرضى لجعل أحلامهم حقيقة، وفي داخلها تسعى إلى تغيير الهويّة الإسلامية وطمسها.

ويلاحظ القارئ أن حاكم المدينة يرافقه الأتراك والإنجليز، دلالة على فقدان السلطة العربية الإسلامية حرية القرار (وإنشاء الهويّة هو باختصار، محكوم بموقف امتلاك أو فقدان السلطة في كل المجتمع).[١٣]

وتؤكد الرواية قدرة البعثة التبشيرية على فرض نفوذها وتحقيق أهدافها، ويظهر ذلك في حوار (ثيودورا)مع صديقتها، تقول: "هل تظنين هذه البلاد تحتاجنا؟

ترمق ثيودورا ظهر صاحبتها، تمشي بأناملها على الصليب الفضي الصغير الراقد على صدرها:

-كل الناس تحتاج كلمة الرب-[١٤]

ويُبرز الحوار القَلق الذي يساور (دورتا) في عدم تقبل الناس أفكار البعثة التبشيرية، لكن ثقة (ثيودورا) في النجاح عندما أكدت لها حاجة الإنسان للرب المنقذ الذي سوف يجعلهم يبحثون عن بريق أمل يحررهم من الظلم والطغيان، فالأهداف التي ستحققها البعثة تأتي لهم من الله الذي يؤمنون به، فلا بد من التأثير على الناس (وما من هُوية من الهُويات مسيكة ومانعة، فكل منها تؤثر على الأخرى وتتلاعب بها).[١٥]

وبما أن السودان تعاني من اضطرابات سياسية أدت إلى أزمة اقتصادية، وفكرة هُوية جديدة تحمل في مضمونها الخير والعطاء، يعطيها مخرجا من تلك الحالة، ويستنتج القارئ أن الحاجة والفقر أديا إلى تشتت الهويّة.

لقد أدّت البعثات التبشيرية دورها ببراعة، فقد استقطبت الفقراء والمحتاجين، فهم الأكثر حاجة للمعونات، يقول الراوي:

(يستخدم المدخل الجانبي عادة المرضى والفقراء الذين يتلقون إعانات من البعثة، وباعة الجبن واللبن).[١٦]

تظهر الرواية من خلال وصف الراوي مكان دخول الفقراء والمرضى، لتتضح النظرة الدونية التي تشكّلت عند الغرب ومنهم أعضاء البعثة التبشيرية، فلا يسمح لهم بالدخول من الباب الأمامي، وقد استقبلت البعثة التبشيرية المرضى والفقراء من أهل السودان لمساعدتهم، وهذه الفئة الضعيفة تحتاج الرعاية والدواء، في ظل سوء الأوضاع الاقتصادية التي تمر بها البلاد، وجعلتها تُقبل على البعثة لأخذ حاجتها، وفي المقابل يتمكن أعضاؤها من نشر التعاليم المسيحية.

ولم تغفل الراوية دور المدارس التبشيرية في التأثير على الأطفال، فالطفل يتقبل من المدرسة والمعلم أكثر من أهله؛ لأنهما بالنسبة له أكثر معرفة، ويقول الراوي:

(اكتشفت في نفسها موهبة القص حين رأت الأعين تتسع انبهاراً، وهي تسمع منها الحكايات، يصمتون وتتقطع أنفاسهم وهي تروي، ربما دمعت أعينهم، لكنهم دوماً يهتفون سعادة حين تنتهي قصة قديس بنصر الرب له)[١٧]

أثارت الرواية تأثير المدرسة والتعليم على عقول الأطفال وقلوبهم، فركزت البعثة التبشيرية عليهم.

ويُلاحظ القارئ أن (يثودورا) تمكنت من ذلك ببراعة فائقة؛ فدموع الأطفال ترمز إلى المقدرة التي امتلكتها في التأثير عليهم، وتلك الفرحة الغامرة التي تنتابهم عند نصر الرب للقديس.

فالتعليم له الدور البارز في تبني الأفكار والمعتقدات التي توجه سلوك الأطفال، وتجعلهم يعتقدون أنها تمثل الحقيقة.

لذلك اهتم المستعمِر ببناء المدارس التي تحقق غايتهم في نشر أفكارهم (وقد ساعدت الإرساليات الأمريكية الأميركان على تعزيز نفوذهم في العالم العربي)[١٨]، ونشر أفكار الدين المسيحي بطريقة محببة إليهم، فيسهُل تقبلها والتأثر بها.

ولعلّ اختيار الطلاب الأطفال بوصفهم فئة مستهدفة للبعثات التبشيرية لترويض النفوس على تقبل الآخر والاندماج معه، يعود إلى أنهم شباب الغد.

ومن تأثيرات البعثة التبشيرية في السودان ما حدث في نفوس البسطاء أمثال (بخيت)، حيث يعبّر المونولوج الداخلي:

(ما أغربهم هؤلاء النصارى طيبون لكن مثواهم النار. وبياضهم القبيح. حرمهم الله جمال اللون ومنحهم طيبة القلب)[١٩].

لم تكتفِ الرواية بتصوير أثر البعثات التبشيرية على الأطفال، بل امتدت الى طبقات الفقراء المستضعفين الذين يرون فيها الطيبة والتسامح، والمساعدة في سد احتياجاتهم في المرض والفقر.

ويدرك (بخيت) —على بساطته–التمييز العنصري الذي ولّده الغرب، وحقيقة الدين المسيحي، وذلك ما حمله من مورثات جعلته يقرر بسذاجته أنهم سوف يدخلون النار؛ لأنه أخذ بظاهر الأمر، وتلك الأفعال التي تبدو خيرا، ماهي إلا وسيلة جديدة يتبعها الغرب في تشتيت الهويّة وتشظيها.

٢. القهر والاستبداد

يعكس النص الروائي تغيّر المواقف وفق إيديولوجية جديدة دفعت الشيخ (إبراهيم ود الشواك) إلى التحول في المعتقدات، يقول:

(لو كان لزاماً علينا أن نلبس طربوش النصارى، ونغير لون جلودنا فلنفعل. المهدية راحت يا ولدي. وهذا أمر الله).[٢٠]

أدركت الرواية أزمة الصراع السياسي في تحوّل الأفكار والمعتقدات، وفق نظام جديد فرض ازدواجية هُوية نشأت بفعل السياسة الاستعمارية القمعية التي سعت إلى نشر وسائل تدمير خفية لتفكيك الشخصية الإسلامية وذلك؛ لأن (تداعيات الاستعمار ورواسبه تعمل على صياغة كل من اللغة والتعليم والدين والفكر).[٢١]

وقد حقق المستعمِر انتصاره، وتمكن من بسط نفوذه بالقوة التي جعلت (الشيخ إبراهيم) يتقبل وجود الآخر، ويندمج معه في ظل ظروف السيطرة والقمع التي أثرت في تفكيره وقناعاته السابقة، ليتخلص من التيه والانفصام، فهو يعبّر عن الإنسان الذي تتنازعه هويتان متناقضتان، محاولاً أن يتخلص من واحدة لشعوره بالعدمية.

وأكدت الرواية على مفهوم التباس الهويّة من خلال الحوار بين الشيخ (سلمان) و(الحسن)، يقول الراوي:

(يسأل شيخه: هل الترك مسلمون؟

- منهم خليفة الله سلطان المسلمين. لكن المسلم بعمله لا صفته
- يعملون عمل الكفار يابوي الشيخ).[٢٢]

والحوار في الرواية يوضح مفهوم الإسلام الذي اختلط في ذهن (الحسن)، فأعمال العنف والظلم جعلته يفكر في ديانة الترك؛ لأن القتل والتخريب والتدمير أعمال لا تمثل الإسلام والمسلمين.

ويرى القارئ أن الحكم التركي الذي استبدّ وطغى كان بمثابة التمهيد للاستعمار الغربي الذي وجد مدخلاً إلى الأمة الإسلامية لتخليصها من حكمهم؛ ما أدى إلى التعددية السياسية التي مثلت لدى بعض الباحثين (سلبيات تضر بالأمة الإسلامية، ومن سلبياتها تشرذم الأمة، وتبديد جهود الدولة، وتشتيت قواها، وآلية الحياة السياسية)؛[٢٣] ما نتج عنه انشطار في الذات العربية والإسلامية، أوجده تنافس الدول المستعمِرة على الأمة العربية.

وتتضح الرؤية العميقة لصورة الاضطهاد والظلم الذي تعاني منه الذات العربية في شخصية (الحسن)، يقول:

- (ناداني الله يا فاطمة

أما ترين ما أصاب الدين من بلاء؟

تغير الزمان، ملئت الأرض جورا. الترك، الكفار، بدّلو دين الله، أذّلوا العباد).[٢٤]

قدمت الرواية صورة الذات العربية المغلوب على أمرها في حيرة (الحسن) من التحولات المختلفة التي حاول المستعمِر تغييرها؛ لجعل العرب مفككين منقسمين بتعاون الأتراك مع الأوروبيين.

فالإسلام يشكّل آلية الدفاع الأساسية عن الذات في مواجهة السلطة المستبدة، ويحافظ على هويتها، (وبدون هوية ممتلئة بمقوماتها يكون الانفتاح على الثقافات الأخرى، خاصة المهيمنة منها، مدعاة للانزلاق نحو الوقوع فريسة للاستلاب والاختراق).[٢٥]

حاول الأتراك تغيير الأفكار والمعتقدات العربية لفرض الهيمنة على الذات العربية الإسلامية بغية استئصال جذورها وطمس هُويتها، الأمر الذي جعل (الحسن) مشتت الهويّة في تغيّر الزمان الذي جعل الأتراك يبتعدون عن تعاليم الإسلام السمحة في تحقيق العدالة.

وتابعت الرواية وصف شدة القسوة والظلم في الابتعاد عن مبادئ الإسلام في إقامة الحق، ويظهر ذلك في قول الراوي:

(يناجي الحسن إيمانه يا مهدي الله لماذا صرت تركياً؟).[٢٦]

وتعددت مظاهر القسوة والذُّل والخضوع في الرواية في ظل المفارقات التي وصفت النفسية المهزومة يُمثلها (الحسن)، ومرحلة الاستعمار وما بعدها ماهي إلا حالة واحدة لتشتيت الذات (إن الأمم المعاصرة في آسيا وأميركا اللاتينية، وأفريقيا مستقلة سياسياً لكنها من وجوه عديدة ما تزال خاضعة لقدر من السيطرة والتبعية، يعادل ما خضعت له حين كانت القوى الأوروبية تحكمها حكماً مباشراً).[٢٧]

والخليفة (مهدي الله) امتداد للمرحلة الاستعمارية التي جعلت البلاد تخضع لنمط جديد من أنماط العلاقات بين الحضارات. فالصراع القائم في الذات العربية لا يواجه الاستعمار الغربي فقط (بل يقف الجميع مناهضاً حكم نخبة مستبدة).[٢٨]

لقد عرض النص الروائي التغيرات المصيرية في الهويّة القومية، وخاصةً ما يمثل الدين الإسلامي، ومحاولة تشويهه.

٣. بث الشبهات حول الدين

حيث صورت الرواية خرق المعايير الدينية بشكل فظّ، وذلك في الفتاوى الدينية التي تصدرها السلطة الحاكمة بغير حق، كتبت (ثيودورا) في مذكراتها:

(استصدر غردون باشا فتوى من علماء المسلمين بالمدينة تبيح للمسلمين عدم صوم شهر رمضانهم بسبب الحرب).[٢٩]

يظهر النص الروائي تجليات المفارقة التي دفعت(غردون) الإنجليزي إلى إصدار فتوى تبيح الإفطار في شهر رمضان، واستغلال رجال السياسة للدين، وتحالفهم مع بعض رجاله لضمان استمراريتّهم، وتدعيم مواقعهم في السلطة؛ لذلك استخدم (غردون) الكذب وسيلة للتحكم في مصائر الناس (ويبقى الكذب في حد ذاته أداة من أدوات العنف السياسي الذي يحرم الآخر من حقه في معرفة الحقيقة، ويعمل على إبقائه في منطقة الجهل، في الوقت نفسه يحشو دماغه بمختلف الترهات والأكاذيب).[٣٠]

ومن خلال استرجاع الراوي لأحداث الرواية أثناء إقامة (بخيت) في السجن، تظهر التناقضات في شخصيته:

- (صار ملازماً له لا يفارقه، ينزل جنونه على قلبه بالراحة منه، تعلّم الحرص على الصلاة، صار مولعاً بها، يقف بين يدي ربه يسأله السكينة، يطلب منه مغفرة ما سيقارف).[٣١]

تبرز الرواية تناقض الشخصية في مفهوم العبادة، فالصلاة كانت بالنسبة إلى (بخيت) الطمأنينة التي يحتاجها في تلك الأوقات الصعبة، والعبادة يجب أن تكون (خطة سلوك، وخطة عمل، وخطة شعور).[٣٢]

لكنه في الوقت نفسه يصلي ويفكر في ارتكاب المعاصي، ويطلب من الله العفو والمغفرة عمّا سوف يفعله، وهو قتل الأشخاص الذين كانوا السبب في موت محبوبته. وبذا تعرض الرواية أنموذجاً متناقضاً في السلوك، بين اللجوء إلى الصلاة بوصفها راحة للإنسان وواجبة على كل مسلم، وقتل مجموعة من المسلمين كان لهم الدور الكبير في قتل الفتاة المسيحية التي كانت ترافق البعثة التبشيرية.

٤. التمييز العنصري

تنتقل الرواية إلى التمييز العنصري الذي أحدث تغييراً جذرياً في الذات العربية، فقد فرض المستعمِر وجوده على الدول المستعمَرة؛ ما أوجد ثنائية نظام الأسود هو الشر والخطيئة والتخلف، والأبيض هو رمز للنقاء والصلاح، يقول الراوي:

(مؤمنة أنهم خراف الرب السوداء الضالة، لكن الراعي عليه أن يتواضع، فشغلت نفسها بمغالبة الوحشة التي أحستها وأعجبها أن النسوة السود تحلقن حولها، ودورتا ومن معهن من الأخوات).[٣٣]

حاولت الرواية تصوير النظرة العنصرية التي أظهرتها (ثيودورا) فهم أصحاب البشرة السوداء، الأقل شأناً، وهم (خراف الرب السوداء) لتتجلى النظرة الفوقية للمستعمِر؛ ما يسهّل مهمة البعثة التبشيرية، فهذه الخراف تحتاج من يرشدها، ويقوّم سلوكها، خاصة أن هذه الشعوب لا تمتلك الثقافة، والحضارة التي جلبها إليهم الغرب، (وبذلك جرى تثبيت وضعية الشعب المستعمَر في مناطق التبعية والمحيطية، ووصُم بتعيينات مثل الدول المتخلفة، والأقل تخلفاً والنامية، المحكومة من قبل مستعمِر متفوق أو متطور).[٣٤]

فتمكن الاستعمار عن طريق البعثات التبشيرية وغيرها من الوسائل العبث في أفكار الناس الذين يعانون من الفقر والاضطهاد والجهل إلى تغيير المفاهيم والمعتقدات. وهنا يفضح النص الروائي النظرة الدونية التي ترسخت في الأذهان عن السود، تقول (ثيودورا) في مذكراتها:

(أكثرهم عدداً السود، وهم زنوج من سكان إفريقيا الأصليين، هؤلاء أدنى سلالات البشرية، لا يوجد منهم في الخرطوم إلا عبيد هم على الفطرة، لا مدينة لهم ولا حضارة، ولا صناعة).[٣٥]

تنبثق النظرة الدونية من فكرة اضطهاد الذات العربية، أو محاولات تذويبها في المجتمع الغربي للهيمنة عليها، فتصف (ثيودورا) سكان جنوب السودان بالبساطة والتخلف، فهم عبيد لا يملكون من أمرهم شيئا لتقنع (السكان الأصليين بأن الاستعمار قد انتشلهم من الظلام).[٣٦]

ويستنتج القارئ إن الاستعمار في وصفه دونية الشرق وتركيزه على الزنوج يريد أن يوصل رسالة مفادها أن العهد السابق (قبل الاستعمار) كان ظلاماً وهمجية وخاصة منطقة جنوب السودان.

ويبدو أن تلك الأفكار التي زرعها المستعمِر في ذهن المستعمَر محاولة جادة في طمس الهويّة القومية؛ للعمل على طمسها وانهيارها (فهذا يعني إقحاماً لأنساق حضرية في شبكة من الأنساق المختلفة، وهنا لا تُقصى فقط الشروط التي تمنح هذه الأنساق فاعليتها، إنما يؤدي ذلك إلى تدمير الأنساق الثقافية الأصلية، فالأولى تُجرَّد من محاضنها، والثانية تنهار لأنها تُستبعد وتحل محلها أنساق أخرى).[٣٧]

سعى المستعمِر إلى محو الشخصية الوطنية للشعب السوداني، ومحاولة إذابتها في النموذج الغربي في ظل الاستعمار العنصري الذي يجعل الآخر مقبولاً.

وجاء الحضور الاستعماري ليكرس أشكالاً ويقوي أشكالاً أخرى من الحضور والهيمنة أقل وضوحاً وأكثر فاعلية، تقول (ثيودورا):

(هؤلاء العمال دخلوا السودان بعد الفتح، لأن أهل البلاد ليس بينهم من يجيد الصناعة أو أعمال العالم المتمدن، لماذا انتهوا للحياة مع السود هكذا، هل لأنهم فقراء مثلهم؟ لكن كيف نسوا أنهم ينتمون إلى أمة عظيمة بينما السود مجرد رعاية لهم).[٣٨]

يعرض النص الروائي شكلاً أصيلاً من السياسة الاستعمارية وهي فرق تسد، (ثيودورا) تنكر على الشعب المصري اختلاطه بالمجتمع السوداني (ولقد عوَّل الاستعمار على هذه العوامل لانتهاج سياسة التفريق والتوهين... فنفخ فيها وبالغ في شأنها)،[٣٩] فهي تتعجب من التعامل مع السود، وتصفهم بالتخلف والهمجية، وتبدو النظرة الأكثر احتقارا في رؤيتها اللون الأسود الذي يمثل الدونية، فهم رعايا للشعب المصري.

ويُلاحظ القارئ إن التركيز على اللون (فكرة أوروبية جاءت مع الاستعمار لتبرره).[٤٠]

فإذا كانت الأمة مقسمة إلى دول متعددة، فإن هويتها تبقى عرضة للضعف والانهزام بسبب ما يخترقها من عوامل التفتت والهدم متمثلة في التمييز العنصري.

إن إعلاء الجنس الأبيض جعل الإحساس بالانقسام والاغتراب يتغلغل في الشعوب المستعمَرة غير البيضاء، يقول بخيت:

(يا مهدي الله!! أنا أتحول إلى رجل أبيض. لكنه ما تحول إلى رجل أبيض، ولا بلغ طمأنينة يوسف أفندي بيقين الصد وأمل الوصال)[٤١].

أوضحت الرواية الدور الذي لعبه المستعمَر يتبنى ثقافة المستعمِر في الذات العربية، فالإحساس بالدونية جعل (بخيت) يحُلم بتغيير لونه، وهذه الحالة جعلت المستعمَر يتبنى ثقافة المستعمِر في داخله؛ لمواجهة شعور النقص الذي أوجده الاستعمار، الذي جعله يعيش حالة من الصراع الداخلي ولسان حاله يقول: (إما أن أطلب من الآخرين ألا يعيروا انتباها لبشرتي، أو أود لو التفتوا لها، وهنا أحاول أن أجد قيمة لما هو سيء، بما أنني مقتنع بأن الرجل الأسود هو لون الشر ولكي انتهي من هذا الموقف العصابي أجد نفسي فيه مضطرا لاختيار حل غير صحي، حل صراعي قائم على العداء).[٤٢]

ترتكز الرؤية العميقة على الصراع الذي خلفه الاستعمار في نفسية الزنوج؛ ما أدى إلى واقع قلق ونزعة عدوانية ضد القهر، وظهرت ردة الفعل في حُلم (بخيت) الذي لم يتحقق، فهاجس تغيير اللون الأسود، رمز الشر والتخلف، جعل الشخصية مضطربة في هويتها، وذلك يوّلد صراعاً بين رغبة الذات، وبين الواقع الذي يضطهد أمثاله من العبيد.

٥. الظلم والعنف

ويبرز النص الروائي آثار العنف الذي ولّده الاستعمار في شخصية (بخيت)، يقول الراوي: (اقترب من خصمه، يجر سيفه خلفه فيخط على التراب أثرا، رفعه وصاح (لا اله إلا الله) طار سوط الدم، وارتمى خطاً قانياً على الحائط).[٤٣]

تثير الرواية موضوع التأثر بظاهرة العنف الذي أحدثه الاستعمار الغربي في الذات العربية (نجد المستعمَر يُشهر سكينة عند أيسر نظرة عدائية أو هجومية يلقيها عليه مستعمَر آخر).[٤٤]

تظهر آثار العنف والقسوة والوحشية التي كانت يُعامل بها (بخيت) وأمثاله من قِبّل المستعمِر التي أحدثت اضطراباً في شخصيته، فهو يقتل مسلم من بني جلدته انتقاماً لمحبوبته الأجنبية التي قُتلت أثناء محاولتها الهرب فهو يقتل، ويرفع صوته بذكر الله، وتتضح الرؤية المتناقضة في الأفعال والأقوال.

وأثارت الرواية موضوع الظلم وضياع الحق والعدالة في ظل الحكم التركي، يعبر عن ذلك (الحسن الجريفاوي) في المونولوج الداخلي، يقول:

(أين عدلك يارب؟ الترك حبابرة، نصرك الذي وعد ليس أهون من الإسلام اليوم، أليس من فرج).[٤٥]

وضحت الرواية حال (الحسن) وشعور الذل والهوان؛ نتيجة ظلم الأتراك، وتحكمهم في رقاب الناس، فاستنجد بالله تعالى فهو نصير المظلومين، (ونظرة الإسلام واضحة في أن الحق واحد لا يتعدد، وأن ماعدا هذا الحق فهو الضلال)،[٤٦] لقد كان الحكم التركي قاسياً، وشديد البطش؛ ما جعل الناس يعيشون في حالة عدم توازن، فالإسلام دين الحق والعدل، والأتراك ينحرفون عن تعاليمه وأحكامه، الأمر الذي أدى إلى اختلاط المفاهيم والتباس الهويّة.

٦. مغريات العولمة

وطرحت الرواية هُوية جديدة فرضتها العولمة، نتيجة تفاعل هويات وثقافات الشعوب مع بعضها البعض، يقول الراوي:

(وفت بوعده فشرعت تعلمه لغة أوروبا.

حفظها عنها بذهن متقد. قالت:

هذه الإنجليزية أشهر لغة العالم، العالم كله يتكلمها).[٤٧]

أثارت الرواية تأثير العولمة على الهويّة، فاللغة العربية هي من مكونات الهويّة الإسلامية، وحاول الغرب إدخال اللغات الأخرى؛ لمعرفته أهمية اللغة العربية بالنسبة للمجتمع الإسلامي (فاللغة العربية بالنسبة إليهم، تستمد قدسيتها من الإسلام، لأنها لغة القرآن)،[٤٨] اعتمدت البعثة التبشيرية على أعضائها؛ لسلخ السودان عن هويتهم القومية، حاولت (ثيودورا) أن تعلم (بخيت) لغة أوروبا التي امتثل لها وأتقنها، محاولا التخلص من الإحساس بالدونية وبتفوق الآخر الذي زرعه الفكر الغربي في الناس، وجعلهم يدركون دونية شخصيّتهم الحضارية، أو جعلهم يتوهمون ذلك لهو أمر يسير لأوروبا أن تقوم بإحتوائهم، فهي تسيطر عليهم؛ لأنها تمثل النموذج العربي المتقدم.

هكذا عززت أوروبا نظرة السودانيين إلى دولتهم في مقابل جعلها نموذجاً حضارياً بديلاً يطمحون إلى محاكاته، يقول الراوي:

(يردد خلفها الكلمات، تضحك من تعثر نطقه. يقطب ويقول لها أنت تنطقين الكلمات العربية بعسر أيضا. — يا أخي الأسود العربية لغة صعبة، أما الإنجليزية فهي سلسة هينة، يتبعها فيما تقول يحفظ المعاني، يتهجى الأحرف برهبة).[٤٩]

تسارعت ظاهرة العولمة، لارتباطها بالتحضر، وقد مثل (بخيت)، أنموذجاً للذات العربية التي بدأت تتقبل الأفكار الغربية، بإقباله على تعلم اللغة الإنجليزية بوصفها مظهراً حضارياً للتخلص من إحساسهم بعقدة التخلف أمام الغرب، ولذلك (زادت الثقافة الأوروبية من قوتها ودعمت هويتها من خلال وضعها لذاتها في مقابل الشرق باعتبارها ذاتاً بديلة أو حتى دفينة).[٥٠]

ويلاحظ القارئ من خلال الحوار اعتماد المستعمِر الغربي في نظرته للمسلمين الزنوج بالتفوق العرقي، فتقول (ثيودورا) يا أخي الأسود إشارة منها إلى ما تستثمره اتجاهات التغريب بتعزيزها الإحساس بالنقص طالما ارتبط الأمر بالعرق، وهي لم تتعلم العربية بحجة صعوبة اللغة العربية، وربما أرادت من ذلك أن تشير لسهولة اللغة الإنجليزية التي ارتبطت بمظاهر التقدم والنهضة.

الخاتمة:

استطاعت الرواية أن تلقي الضوء على مظاهر ازدواجية الهويّة في صورها المختلفة، وأثر الاستعمار الغربي في تفكيك الشخصية وتحولها، فصورت الهمّ الجماعي وانعكاسه على المجتمع في قالب فني تجسده الشخصيات الروائية.

١. عبّرت الشخصيات الروائية عن مظاهر ازدواجية الهويّة التي تمثلت في البعثات التبشيرية والقهر والاستبداد، وبث الشبهات حول الدين الإسلامي، والتمييز العنصري، والظلم والعنف، وأخيراً العولمة.

٢. عرضت الرواية صراع الذات في مواجهة أنظمة الفساد والظلم، لكنها أخفقت في استرداد هُويتها، بسبب الأوضاع السياسية السيئة في البلاد، وهيمنة الاستعمار الغربي عليها، وتشكلت الأنا المستعمَر والآخر المستعمِر، وحدثت خلخلة في الذات الإسلامية بين هويتين مختلفتين؛ ما أدى إلى ازدواجية هوية.

٣. يخلص البحث في قبول الذات الإسلامية هُوية أخرى، لعدة أسباب وأهمها حفاظاً على مصالحها في البلاد، فارتأت هذه الفئة أن تتقبل الوجود الغربي خوفاً على ممتلكاتها، أما الفئة المستضعفة رأت في الآخر القوة والحضارة، فأرادت أن تلحق بهما بغض النظر عن اعتبارات أخرى، أما الفئة الساذجة خدعتها معونات الغرب، وظنت أن المستعمِر جاء للإصلاح والتعمير، فانبهرت بالقشور الخارجية، ولم تدرك حقيقة الاستعمار.

٤. ولم تتخلص الشخصية الإسلامية من هويتها، بل أضافت هوية جديدة لها، فأصبحت الهويّة مختلطة (مهجنة)، لذلك يظهر على الشخصيات التناقض في الأفعال والأقوال، وهذا ما يفسر سلوكها في مختلف المواقف.

هوامش البحث:

[١] عبد الحميد، شاكر، **الغرابة المفهوم وتجلياته في الأدب**، (الكويت: عالم المعرفة، ٢٠١٢م)، ص١٦٠.

[٢] نعمان، أحمد، **الهوية الوطنية**، (الجزائر: دار الأمة، ١٩٩٦م)، ص٢٣.

[٣] السعافين، إبراهيم، **نظرية الأدب ومغامرة التجريب**، (القدس: دار الشرق العربية، ١٩٩٣م)، ص٤٨.

[٤] الهواري، أحمد إبراهيم، **نقد الرواية في الأدب الحديث المعاصر**، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م)، ص١٦.

[٥] أنقار، محمّد، **بناء الصورة في الرواية الاستعمارية**، (تطوان: مكتبة الإدريسي للنشر والتوزيع، ١٩٩٤م)، ص٢٩.

[٦] العالم، مُحَمَّد أمين، **حول مفهوم الهوية**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢م)، ص٢٩.

[٧] إسماعيل، محمود، **المدخل إلى العلوم السياسية**، (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٦م)، ص٣٥٣.

[٨] بحراوي، حسن، **بنية الشكل الروائي**، (بيروت: المركز الثقافي، ١٩٩٠م)، ص٣٠٠.

[٩] زيادة، حمور، **شوق الدرويش**، ص١٤.

[١٠] السابق نفسه، ص٦٩.

[١١] الحداد، سالم، **صراع الهوية**، (تونس: الأطلسية للنشر،٢٠٠٠م)، ص٢٦٢.

[١٢] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص١٣٤.

[١٣] سعيد، إدوارد، **تعقيبات على الاستشراق**، ترجمة: صبحي حديدي، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٩٦م)، ص١٠٣.

[١٤] زيادة، حمّور، شوق **الدرويش**، **ص**١٣٤.

[١٥] سعيد، إدوارد، **تأملات حول المنفى**، ترجمة: ثائر أبو ديب، (بيروت: دار الآداب، ٢٠٠٤م)، ص١٧٣.

[١٦] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص١٧٣

[١٧] السابق نفسه، ص١٧٩

[١٨] .ربابعة، غازي، **الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي والصراع في الشرق الأوسط (١٩٦٧-١٩٨٧م)**، (عمان: الجامعة الأردنية، ١٩٨٩م)، ص٢١.

[١٩] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٢٠٥

[٢٠] السابق نفسه، ص٥٥.

[٢١] راغب، نبيل، **موسوعة النظريات الأدبية**، ط٣، (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر، ٢٠٠٣م)، ص٥٤٨.

[٢٢] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص١١٦.

[٢٣] الصاوي، صلاح، **التعددية السياسية في الدولة الإسلامية**، (القاهرة: دار الإعلام الدولي، ١٩٩٢م)، ص١٥٤.

[٢٤] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٣١٢.

[٢٥] الجابري، مُحَمَّد عابد، **المشروع النهضوي العربي**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦م)، ص١٧٧.

[٢٦] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٤٥٠.

[٢٧] سعيد، إدوارد، **الثقافة والإمبريالية**، (بيروت: دار الآداب، ١٩٩٦م)، ص٤٥٠.

[٢٨] روز، مارجريت، **ما بعد الحداثة**، ترجمة: أحمد الشامي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٤م)، ص٥٧.

[٢٩] زيادة، حمّور، شوق الدرويش، ص٣٨٩

[٣٠] المصباحي، مُحَمَّد، "هل يمكن الكلام عن الحق في الكذب في المجال السياسي"، **مجلة عالم الفكر**، الكويت، المجلد٣٨، العدد١، يوليو-سبتمبر، ص٢٢٧، ٢٠٠٩.

[٣١] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٣٩٠

[٣٢] قطب، مُحَمَّد، **منهج التربية الإسلامية**، ط٨، (بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م)، ج١، ص٣٤.

[٣٣] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص١٣٤

[٣٤] سعيد، إدوارد، **الثقافة والإمبريالية**، ص٦٥

[٣٥] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص١٧٧

[٣٦] فانون، فرانز، **معذبو الأرض**، (عمان: منشورات وزارة الثقافة، ٢٠٠٩م)، ص١٩٩.

[٣٧] إبراهيم، عبدالله، **صورة الآخر في الخيال الإسلامي خلال القرون الوسطى**، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ٢٠٠١م)، ص٢٠.

٣٨ زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٢٥٧.

[٣٩] العيلاني، مصطفى، **المغرب العربي الكبير**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩م)، ص٤٢.

٤٠ سعيد، إدوارد، **تأملات حول المنفى**، ص١٧.

[٤١] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٤٠٧.

[٤٢] فانون، فرانز، **معذبو الأرض**، ص٣٢٥.

[٤٣] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٥٧.

[٤٤] فانون، فرانز، **معذبو الأرض**، ص٧٦.

[٤٥] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص١١١.

[٤٦] قطب، سيد، **معالم في الطريق**، (القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م)، ص١٦٤.

[٤٧] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٣٦٠

[٤٨] غلاب، عبد الكريم، **أزمة المفاهيم وانحراف التفكير**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٨م)، ص٢٥٣.

[٤٩] زيادة، حمّور، **شوق الدرويش**، ص٣١١.

[٥٠] سعيد، إدوارد، **الاستشراق**، ترجمة: محمّد عناني، (القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦م)، ص٤٦.

المراجع: References

ʿabd al-Ḥamīd, Shākir, *al-Gharābah: al-Mafhūm Wa Tajlliyātuh Fī al-ʾadab*, (Kuwait :ʿālim al-Maʿrifah, 2012).

Al-ʿālim, Moḥammad myn, *Ḥawal Mfhūm al-Huwiyyah,* , (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wiḥdah al-ʿarabiyyah, 1982).

Al-Hawāri, ʾaḥmad ʾibrāhīm, *Naqd al-Riwāyah Fī al-ʾadab al-Ḥadīth al-Muʿāṣir*, (Cairo: Dār al-Maʿārif, 1983).

Al-Ḥddād, Sālim, *Ṣirāʿ al-Huwiyyah*, (Tunisia: al-ʾaṭlasiyyah Lilnashr Wa al-Tawzīʿ, 2000).

Al-ʿīʾilāni, Muṣṭafā, *al-Maghrib al-ʿarabiyy al-Kabīr*, (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wiḥdah al-ʿarabiyyah, 1989).

Al-Jābriy, Moḥammad ʿābid, *al-Mashrūʿ al-Nahḍwiy al-ʿarabiyy*, (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wiḥdah al-ʿarabiyyah, 1996).

Al-Saʿāfīn, ʾibrāhīm, *Naẓariyah al-ʾadab Wa Mughāmarah al-Tajrīb*, (Jerusalem: Dār al-Sharq al-ʿarabiyyah, 1993).

Al-Ṣabāḥi, Moḥammad, "Hal Yumkin al-Kalām ʿan al-Ḥaq Fī al-Kadhib Fī al-Majāl al-Siyāsi", *Majallah ʿālim al-Fikr*, Kuwait: al-Mujallad (38), ʿadad (1), 2009.

Al-ṢāwI, Ṣalāḥ, *al-Taʿddudiyah al-Siyāsiyah Fī al-Dawlah al-ʾislāmiyyah*, (Cairo: Dār al-ʿalām al-Duwaliy, 1992).

ʾanqār, Moḥammad, *Bināʾ al-Ṣurah Fī al-Riwāyah al-Istiʿammāriyah*, (Tatwan: Maktabah al-ʾidrīsiy Lilnashr Wa al-Tawzīʿ, 1994).

Baḥrāwi, Ḥasan, *Bināʾ al-Shakl al-Riwāʾiy*,(Beirut: al-Markaz al-Thaqāfī, 1990).

Fanun, Franz, *Muʿadhdhabu al-*ʾarḍ, Tarjamah: Sāmi al-Durūbi Wa Jamāl al-ʾatāsi, (Amman: Manshūrāt Wazārah al-Thaqāfah, 2009).

Ghallāb, ʿabd al-Karīm, *ʾazmah al-Mafāhīm Wa Inḥirāf al-Tafkīr*, (Beirut: Markaz Dirāsāt al-Wiḥdah al-ʿarabiyyah, 1998).

ʾibrāhīm, ʿabd Allah, *Ṣurah al-ʾākhar Fī al-Khayāl al-ʾislāmiyy Khilāl al-Qurūn al-Wusṭā*, (Casablanca: al-Markaz al-Thaqāfi al-ʿarabiyy, 2001).

ʾismāʿīl, Maḥmūd, *al-Madkhal ʾilā al-ʿulūm al-Siyāsyah*, (Kuwait: Maktabah al-Falāḥ, 1986).

Nuʿman, ʾaḥmad, *al-Huwiyyah Wa al-Waṭaniyyah*, (Algeria: Dār al-ʾummah, 1996).

Quṭub, Moḥammad, *Manhaj al-Tarbiyyah al-ʾislāmiyya*h, 8th Edition, (Beirut: Dār al-Shurūq, 1983).

Milann, Kundira, *Fan al-Riwāyāt*, 1st Edition, Tarjamah: ʾamal Manṣūr, (Beirut: al-Muʾassasah al-ʿarabiyyah Lildirāsāt Wa al-Nashr, 1999).

Quṭub, Sayid, *Maʿālim Fī al-Ṭarīq*, (Cairo: Dār al-Shurūq, 1993).

Rabābʿah, Ghāzi, *al-Wilāyāt al-Muttaḥidah Wa al-ʾittiḥād al-Sufīytiy Wa al-Ṣirāʿ Fī al-Sharq al-ʾawsaṭ (1967-1978)*, (Amman: al-Jāmiʿah al-ʾurduniyyah, 1989).

Rāghib, Nabīl, *Mausūʿah al-Naẓariyyah al-ʾadabiyyah*, 1st Edition, (Cairo: al-Sharikah al--Maṣriyah al-ʿālamiyyah Lilnashr, 2003).

Roz, Margaret , *Mā Baʿda al-Ḥadāthah*, Tarjamah: ʾaḥmad al-Shāmi, (Cairo: al-Hayʾah al--Maṣriyah al-ʿāmmah Lilkuttāb, 1994).

Saʿīd, ʾidwārd, al-Istishrāq, *Taʾammulāt Ḥawl al-Manfāʿ*, Tarjamah: thāʾr ʾabu Dīb, (Beirut: Dār al-ʾādāb, 2004).

Saʿīd, ʾidwārd, *al-Istishrāq*, Tarjamah: Moḥammad ʿanāni, (Cairo: Ruʾyah Lilnashr Wa al-Tawzīʿ, 2006).

Saʿīd, ʾidwārd, *al-Istishrāq: Taʿqībāt ʿalā al-Istishrāq*, Tarjamah: Ṣubḥi Ḥaddādi, (Beirut: al-Muʾassasah al-ʿarabiyyah lildirāsāt Wa al-Nashr, 1996).

Saʿīd, ʾiʾidwārd, al-Istishrāq: *al-Thaqāfah Wa al-ʾimbiryāliyah*, Tarjamah: Kamāl ʾabu Dīb, (Beirut: Dār al-ʾādāb, 1996).

Ziyādah, Ḥammūr, Shawq al-Darwīsh, (Cairo: Dār al-ʿain Lilnashr 2015).